مقاربة تحليلية لبعضٍ من تراث الأَّمام موسى الكاظم (ع)

مصطلحا «الحكمة والعقل»

كما وردت في «وصية الأَّمام (ع) الذهبية» إنّموذجاً

د .محمد محمد حسن آل ياسين (*)

المقدمة

يمثـل التـراث المأثور عن الإمام موسـى بن جعفـر(ع)، ذلك التـراث الثر الذي بنـى أُصوله من تلك المنابع التي توافرت له خاصة، فاسـتقى منها ذلك العلـم الغزير المتدفق وهاتيك المعارف المتنوعـة الفياضة، وأصبح بتلك المثابة التي فاق بها غيره من الناس وتميز بسـببها على الأَخرين، حيث مثّل كتاب الله تعالى وسـنة رسـوله الأَكرم (ص) المصدريـن الحقيقييـن الوحيديـن حصراً وتعيينـاً لعلم الإمام (ع) ودائـرة معارفه الكبرى الشـاملة، وإن كل مـا كان يحمله من فضلٍ وفكرٍ متفـرع عنهما ومسـتمد منهما، حيـث تكرر في المصـادر المعروفة نقل حفـاظ الحديث عن أبي حاتـم الـرازي - باقـرار منهم لذلـك وتصديق - مقولته المشـهورة فيه: إنه «ثقة، أمين، صدوق، إمام من أئمة المسلمين»[١].

وكان أبوه الإمام الصادق (ع) وهو بحر العلم وينبوع المعرفة بإجماع المسلمين وإتفاق الباحثين طريقه الاوحد إلى تناول ذلك كله، وأُستاذه الاكبر الـذي لـم يعرف أُسـتاذاً غيره، وقد تلقـى منه ما كان يحملـه من أحاديث آبائه وأجداده المطهرين، وغرف من نميره المتدفق صفو العطاء والرواء، فكانت حصيلة تلك الاستاذية المُثلى وذلك الأَرث العظيم بروز هذا الأَنَّسان الملائكي الفريد مجسداً على الأَرض بصورة الإمام موسى بن جعفر(ع) و»الله أعلـم حيث يجعل رسـالته» وحيث يختار موضع إمامته ومستودع ولايته[٢].

ولقـد جاء فـي الرواية عن الإمام موسـى بن جعفـر(ع) قوله: «مبلغ علمنـا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابرٍ وحادث، فأما الماضي فمفسر، وأما الغابـر (أي الاتي) فمزبور، وأمـا الحادث فقَذفٌ فـي القلوب ونَقرٌ في الأَسـماع»، ثـم أكد في ذيل الحديث قائلاً: « ولا نبي بعد نبينا»[٣].

إن المُـراد فـي حديـث الإمـام (ع) مـن كلٍ مـن الماضـي والغابر هـو المروي المسـطور، ومن القـذف في القلوب: الالهـام، ومن النقر في الاسماع: سماع حديث الملائكة من دون رؤيتهم،

(*) باحث واكاديمي

dr.aalyasin@gmail.com

أي رواية حديثهم وكأنهم يسمعونهم فيما تنزلوا به حقاً وصدقاً على رسول الله (ص)، وكل ذلك باستثناء الألَّهام داخل في المأثور عن النبي (ص) ممَّا سمعه الإمام علي (ع) منه فحدّث به أولاده مشافهة فرواه بعضهم عن بعض، أو دوّنه في الصحف التي إشتهرت بأسم «الجفر» و»الجامعة» فتناقلوه عنه [٤].

وعندما تلتقي كل هذه الحصائل والأَمتيازات ممثلة بشخص الإمام الكاظم (ع) وبما يعنيه هذا الالتقاء والتمثيل من معان ودلالات، يكون تراثه الفكري الضخم المبلغ الينا بواسطة ذلك العدد الوفير من الرواة والمحدثين والمدونين على درجة تفوق التصور قيمة وشأنا ورفعة، وبمقامٍ لايسعنا التعبير عنه بإسم أصح أو أصدق من كونه تراث الإمامة وكنزها الموروث، بكل ما يفترض للإمامة من قدسية وعمق غورٍ وسعة نظر، ولتراثها الواسع من مجالأَت وامتداد ابعاد [٥].

هنا خطة البحث وعندما يسعى المرء – وبالاخص الباحث المنقب المتتبع – لولوج ذلك التراث الثر، يقف خائفاً وجلاً أمام هذا البحر المترامي، العميق والغزير الذي تصعب معه تلك المحاولات لاستيعابه وفهم أبعاده وسبر غور معانيه، فبالاضافة إلى ما عُني به الإمام (ع) من بيان دور «العقل» و»الحكمة» والعلاقة المحكمة بينهما، في مسيرة الإنسان والحياة ودور العلم في بناء الأَفراد والمجتمعات ونموها المتحرك المثمر، نلمس الاهتمام الكبير والوجود البارز للموضوعات الفلسفية والكلامية في هذا التراث أيضاً، حيث بحث الإمام شؤون الخلق والخالق، ومسائل التوحيد والصفات، وقضايا العدل الالهي، وشبهات الجبر والقدر والتفويض، وغير ذلك ممَّا ماثل وشاكل من فروع تلك الموضوعات ومداخلاتها الكثيرة المتشعبة.

ولذا فإن اهتمامنا هنا متوجهاً (بعون من الله تعإلى) إلى إلقاء الضوء على فقرات من ذلك التراث الزاهر ولمحات من ذلك المأثور المتألق حول مصطلحي «الحكمة» و»العقل»، والوقوف على جوإنب من تلك المرامي والأَغراض لهذين المصطلحين التي أراد الإمام إبلاغها إلى سامعيه ورواة حديثه وإلى أجيال المسلمين من بعده كما وردت في وصيته (ع) لهشام بن الحكم[٦] ، المسماة بـ(الوصية الذهبية) [٧] ،و ذلك لصعوبة التوسع والاحاطة بكل أو معظم تراث الإمامة تبعاً لمحدودية مجال هذا البحث.

المبحث الأَول : الحكمة .

وخير ما نبتدأ به توضيحنا لرأي الإمام الكاظم (ع) عن «الحكمة» إن نورد قوله (ع) في وصيته لهشام بن الحكم: «ياهشام: إن كل الناس يبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك إنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم الا مَن عمل بها[٨]. ومن الواضح إن الإمام (ع) لايريد بالحكمة التي شبهها بالنجوم في الأَضاءة والاهتداء، العلم بالحكمة اليونانية، ولا الحكمة المصطلحة بالفلسفة من المعرفة بحقائق الأَشياء التي وضِع صرحها على القواعد العقلية الصرفة، ولا العلم بالقواعد الكلامية، وإن كان هشام نفسه من المتكلمين المرضيين المقبولين عند الائمة (ع)، ولا غيرها ممَّا لا تُعرف الا بالعقليات غير المؤيدة بالوصي السماوي، بل

المراد بالحكمة المذكورة في الروايات الكثيرة هي الحكمة القرانية التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً وهي المعرفة بالله وبالانبياء وأوصيائهم (ع) من المؤمنين بالكتب المنزلة المتعبدين لله المناقدين العارفين الخاشعين المتمسكين بحجرة أهل البيت (ع) وقد وصفهم أمير المؤمنين (ع) عند تلاوته الأَية الكريمة: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ ، رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ } سورة النور الآية ٣٦-٣٧ [٩].

فقد روى محمد بن يحيى، عن العمركي بن علي، عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى (ع) قال: «إن الله خلق قلوب المؤمنين مطويَة مبهمة على الأَيمان، فإذا أراد إستنارة ما فيها نضحها بالحكمة، وزرعها بالعلم، وزارعها والقيّم عليها رب العالمين»[١٠].

نقول: إن هذا الحديث من غرر الصحاح المأثورة، قد أشتمل على أبدع تشبيه، وأروع تمثيل، وأبلغ المعاني وإنه من محاسن الكلام في وصف الحكمة الربوبية وقلب المؤمنين، وقد تصدى بعض العلماء لشرحه فقال المحقق المازندراني[١١] قوله: «قال: إنَّ الله خلق قلوب المؤمنين مطويّة مبهمة على الأَيمان»، خلق قلوبهم مطويّة على سبيل التشبيه بما يقبل الطيّ كالثياب والكتاب، والمراد بالمبهمة المغلقة والمقفلة على سبيل التشبيه بالبيت، فلا يعلم ما فيها إلا هو، فمن أبهم الباب فهو مبهم، إذا أغلقه وأقفله، أو المعضلة التي لا يعلم حالها ووصفها إلاَّ هو، من أبهم الأَمر فهو مبهم إذا لم يجعل عليه دليلاً، أو الخالصة الصحيحة التي ليس فيها شيء من العاهات والأَمراض، ومنه فرس بهيم، وهو الذي له لون واحد لا يخالطه لون سواه».

وقوله: «على الأَيمان» متعلق بـ»مطويّة» أو «مبهمة» أو بهما على التنازع، أو حال عن القلوب، أي خلقها كائنة على الأَيمان. وفي ذكر المطويّة والمبهمة إشعار بإن إيمانها مغفول عنه، وهو عبارة عن سهو القلب. ولما كان الخلق تابعاً للعلم، وكان علم الله عز وجل بالشئ قبل خلقه كعلمه به بعده، وكان قلب المؤمن متصفاً بالأَيمان باختياره إياه، صدّق إنه تعالى خلقه على هذا الوصف، فلا يلزم الجبر، (فإذا أراد إستشارة ما فيها نضحها بالحكمة)، الأَستشارة بالشين المعجمة: إستخراج العسل من موضعه. يقال: شار العسل شوراً من باب (قال)، وإشارة، وإستشارة: إذا إستخرجه من الوقبة وهي نقرة في صخرة يجتمع فيها الماء والعسل. وفيه نوع من تشبيه ما في قلوب المؤمنين بالعسل في الترغيب وميل الطبع. والنضح: الرش، نضحه كمنعه: إذا رشّه، وإنما شبه الحكمة وهي دين الحق المانع للقلب عن الصلابة، والغلظة، والباعث للرخوة واللينة بالماء؛ لإنها تلين القلب وتصلحه كالماء للأرض، وشبّه بالبذر لإنه ينمو ويحصل من اليانع الكثير كالبذر.... «وزارعها والقيّم عليها رب العالمين».

والزرع في الأَصل: الانبات، يقال: زرع الله الحرث: أي إنبته وإنماه، وهو فعله تعالى دون البشر، ولذلك قال: { أَأَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ، ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ } سورة الواقعة الأَية ٦٣-٦٤، نسب الحرث إليهم؛ لكونه فعلاً لهم، وسبباً للزرع، ونسب الزرع إلى ذاته المقدسة؛ لكونه فعلاً له، ثم قيل: زرع الله العلم على سبيل الأَستعارة بتشبيه إلقاء العلوم والأَسرار إلى القلوب بالزرع في التزيين والحياة والثمرة، فكما إن الزرع يزين الأَرض ويوجب حياتها، ويثمر ثمره توجب حياة الأَبدان ونموها وقيامها بأفعالها، كذلك الأَلقاء المذكور يزين القلوب ويوجب حياتها

الأَبديّة، وثمره أقوى، وأتم من ثمرة الزرع؛ لإن ثمرة الـزرع هي الحياة الدنيوية، وثمرة الأَلقاء المذكور هي الحياة الأَخروية التي لا إنقطاع لها والفضل بينهما كفضل الأَخرة على الدنيا.

والحاصـل إن الذي ينبت في القلوب النبات الحسن من العقائد الصحيحة والحقائق الربوبية والأَسـرار الحكميـة لحُسـن إسـتعادها وكمال حفظها للقـوة الفطريـة، والذي يقـوم بأمرها، ويدبـر فيها، ويراقـب جميع أفعالهـا؛ هو رب العالميـن الذي بيـده إيجاد العالـم على الانواع المختلفة.

كما شـرح الكلمة الشـيخ المجلسـي (طاب ثـراه)[١٢] فقـال: أُشـير إلـى بعض مـا ذهب اليـه، إنه إختار قوله (ع): «فـاذا أراد إثارة ما فيها...» من الأَثارة. وجعل نسـخة الأَستثـارة بالشـين المعجمة قولاً وشرحها بما قدمناه، وأما نسخة الأَسـتنارة فهي في متن الكافي الموجود عندنا، والكلُ له تفسـيره المتناسـب، وكيف ما كانت النسـخة فـإن الحقيقة سـافرة يراها أهلها باية مراياها ومعإنيها، وإن الكلمة الصادرة عن المعصـوم نور يجده المؤمـن؛ لإنه ينظر بنور الله تعإلى، وقوله (ع): «إذا أراد إستنارة ما فيها نضحهـا الحكمـة....»، ما هذه الأَرادة؟ سـواء أكان المراد الأَستنارة على نسخة، أو المُثار على نسـخة، أو المستثـار على رأي المازندراني، وهـل هي الأَرادة التكوينيـة؟ أو موهبة ربوبية تفاض على المملّ القابل والقلب السليم؟ أو نور لا يعلـم حقيقتـه إلا الله، كما تلوح إليـه الفقرة: «وزارعها والقيّم عليهـا رب العالمين»؟ وهل القلب المنضـوح بالحكمة، والعلم المزروع فيه لكل المؤمنين؟ أو قسم منهم؟ والذي ذاق حلاوة هـذه الحكمة، والعلم المثمر الربّاني يوشـك إن يدخل في المؤمنيـن الموصوفين بها في حديث الإمـام (ع) الـذي هو من الحديـث المقنع غير المكشوف إلاَّ عند أهله العالمين به، وليس العلم به الصورة المنتقشـة عن الشـئ في النفس، بل هو نور يقذفه في مَن اراد إن يهديه[١٣].

ويتسـامى ويرتفع الإمام فـي حديثه العميق الشـامل حين يربط بين الحكمـة والعقل والدنيا فيقـول (ع) في وصيته لهشـام: «يا هشـام: إن العقـل رضـى بالدون مـن الدنيا مـع الحكمة، ولم يرضَ بالدون مـن الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم»[١٤]، ومن الواضح إن ما يراد من الـدون القلة المسـتبدلة، والعاقـل لا يختار منهـا عند المزاحمة بين الدنيا، والحصول على العلـم، المعبّر عنـه بالحكمـة، إلاّ العلم فيقدمه على الدنيا، ولا يقـدم الدنيا على العلم والحكمة ولا علـى القليل منهما، فقليـل الحكمة والعلم لا يساويه بالدنيا بأسرها فضلاً عن قليلها.

وللإستبدال أربعة صور تأتي بالمقارنة بين الدنيا، والحكمة والعلم، بإعتبار الكثرة والقلة من الجإنبيـن: كثيرهما، وقليلهمـا، وكثرة أحدهما، وقلة الأَخر... الحكمة والعلم مع الدنيا القليلة، أو كثرتها مع الحكمة والعلم القليل، ويريد الحديث من هذه الصور: الدنيا القليلة مع الحكمة والعلم الكثيـر، ولا يريد الحكمة والعلم القليل مع الدنيا بأسرها، ففي قوله تعالى: {قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُـوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا..} سـورة البقرة الأَيـة ٦١،فصور المقارنة كما أشـرنا أربعة بين شـيء وشـيء، أو كلاهمـا خيـر، أو دإن، أو أحدهما أدنى والأَخر خير، والعاقل لا يسـتبدل الدإنـي بالـذي هو خير فضلاً عـن الأَدنى، فلو أختـار أحدٌ الدإنـي على الخيـر، أو الأَدنى، لم يكن عاقـلاً، بل العاقل يقـدّم الخير على الدإني

فضــلاً عاقلاً على الأَدنى، ومن ثم قال تعالى لمن استبدل الأَدنى بالذي هو خير: (اهبطوا ..) والأَية الكريمــة مقياس مطرد لها مواضع يصح تطبيقها والعقل قاضٍ بصحة التطبيق ولا يأباها، والأَيات تجري مجرى الشمس والقمر وفيها علم الحاضر والماضي والمستقبل[١٥].

ثم يســتكمل الإمام (ع) مسيرته في البيان والتوضيــح موجهاً وصيته إلى هشــام بن الحكم، ورابطاً ما ســبق بما يأتي، فيقول: «ياهشــام: إن العقــلاء تركــوا فضول الدنيــا، فكيــف الذنوب، وتــرك الدنيــا مــن الفضــل، وترك الذنــوب من الفرض»[١٦]. «يا هشام: إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها، فعلم إنها لا تُنال إلا بالمشــقة، ونظر إلى الأَخرة، فعلم إنها لا تُنال إلا بالمشــقة، فطلب بالمشقة أبقاهما»[١٧]. «يا هشام: إن العقلاء زهدوا في الدنيــا، ورغبوا في الأَخــرة؛ لإنهم علموا إن الدنيــا طالبة مطلوبة، والأَخــرة طالبة ومطلوبة، فمَن طلب الأَخرة طلبته الدنيا؛ حتى يستوفي فيها رزقــه، ومــن طلب الدنيــا طلبته الأَخــرة، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته»[١٨].

ولتوضيــح نظرة العقــلاء للعلاقة بيــن الدنيا والزهد نقول: فقوله (ع): «إن العقلاء زهدوا في الدنيــا ...» كلمتإن لا تنفك إحداهما عن الأَخرى، إذ الزاهد عن الشــئ لا يرغب فيه، والراغب في الشــئ لا يزهــد عنــه، إلا إن يتعدد زمــان الزهد وزمــان الرغبة فيمكن إنْ يزهد في أيام الشــباب، ويرغب في الشــيخوخة أو بالعكــس بالقياس إلى الدنيا أو الأَخرة. ولكن إذا كان الزهد في الدنيا عن تعَقّل وبصيرة، وكذا الرغبة في الأَخرة كانت عن التعقّل والبصيرة فلا يعود عن ذلك، وكلام الإمام (ع) ناظر إليه دون من توارده الحالتان في الشباب والشــيخوخة، وإن كان ذلك أيضــاً ثابتاً ويحتمل شمول الكلام للقسمين المذكورين[١٩]. كذلك وجدنا إن لطالبيــة الدنيا والأَخرة ومطلوبيتهما بين ذكره شــارحو الحديــث، وكذا حذف العاطــف وثبوته، فقد قال العلامة المجلســي (رحمه الله): قوله(ع): «طالبــة مطلوبــة» أي الدنيا طالبــة للمرء؛ لإن يوصل اليه ما عندها من الرزق المقدّر، ومطلوبة يطلبها الحريص طلباً للزيادة، «والأَخرة طالبة» تطلبــه؛ لتوصل إليــه أجله المقــدّر، «ومطلوبة» يطلبهــا الطالب؛ للســعادات الأَخرويــة بالأَعمال الصالحة[٢٠].

وقــال الفيــض الكاشــاني (رحمــه الله)[٢١]: طالبية الدنيــا عبارة عن إيصالهــا الرزق المقدّر إلــى مَن هو فيها؛ ليكونوا فيها إلى الأَجل المقرر، ومطلوبيتها عبارة عن ســعي أبنائها لها؛ ليكونوا على أحســن أحوالها، وطالبية الأَخرة عبارة عن بلــوغ الأَجل وحلــول الموت لمن هو فــي الدنيا، ومطلوبيتها عبارة عن ســعي أبنائها لها؛ ليكونوا علــى أحســن أحوالها، ولا يخفــى إن الدنيا طالبة بالمعنى المذكور، لإن الرزق فيها مقدّر مضمون يصل إلى الإنسإن لا محالة، طلبه أو لا {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِــي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} ســورة هود الأَية ٦، وإن الأَخرة طالبة أيضاً، لإن الأَجل مقدّر كالــرزق مكتوب {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا} سورة الأَحزاب الأَية ١٦ [٢٢].

وقال العلامة الســيد شــبر (طاب ثراه[٢٣]: إن الطالبيــة والمطلوبيــة في كل مــن الدنيا والأَخرة تتصــور علــى وجهيــن: أحدهمــا: إن كلاً منهما متصفــة بهمــا مــع قطــع النظــر عــن الأَخرى. وثانيهمــا: إن كل واحــدة منهــا طالبــة عند كون الأَخــرى مطلوبــة، ومطلوبة عند كــون الأَخرى طالبة، ويرشد اليه قوله (ع): «فمَن طلب الأَخرة طلبتــه الدنيــا» أي؛ حتى يســتوفي فيهــا رزقه، كمــا قــال (ع): «لا تمــوت نفس حتى تســتكمل

رزقهـا»، وقال الإمام الصـادق (ع): «لو كان العبـد في جُحـر لأتاه الله برزقـه»، ومن طلب الدنيا وصرف عمره فيهـا طلبته الأَخرة؛ حتى يسـتوفي فيها أجله، فيأتيه الموت، فيفسـد عليه دنياه؛ لإنقطاعه عنها، وعدم وفائها له، وآخرته لعـدم صرف فكـره إليهـا. وجه التـلازم بهذه الكلمات المذكورة واضح.

بقي بيان السـر في حذف العاطف في «إن الدنيـا طالبة مطلوبـة» وإثباته فـي «والأَخرة طالبة ومطلوبة»، وهل العاطف ثابت في الفقرة الأَولى كالثانية، وقد سـقط مـن رواية الراوي، أو إنـه أسـقطه الإمام الكاظـم (ع) لنكتة تفوت باثباته؟.

ونحـن نـرى إن تصـدي شـرّاح الحديث لبيان وجـه الحذف في أحدهما، وسـر الأَثبات في الأَخرى يكشـف لنا؛ إسـقاط المعصوم (ع) لـه، ولولا ذلك لقلنا إنَّـه من الراوي، وإليك من كلمات الشـارحين منهم السيد شبر (رحمه الله) قـال: ويبقى الكلام فـي النكتة في ترك العاطف فـي الأَول، والأَتيـان به في الثانـي ويمكن إنْ يكـون لوجهين: الأَول: إنه للتنبيه على إن الدنيا طالبـة موصوفـة بالمطلوبيّة فتكـون الطالبية؛ لكونهـا موصوفـة بمنزلـة الـذات، فـدّل على إن الدنيـا مـن حقها فـي ذاتها إن تكـون طالبة وتكـون المطلوبة؛ لكونها صفة لاحقة بالطالبية مـن الطواري والعوارض التي ليسـت من حق الدنيـا في ذاتها إن تكون موصوفة بها، فلو أتى بالعاطـف لفاتت تلك الدلالة، والوجه الثاني: إنْ نجعل قولـه: «طالبة مطلوبة» خبـراً بعد خبر كما هو ظاهر وحينئـذٍ ففي ترك العاطف دلالة علـى عدم إرتباط طالبيتهـا بمطلوبيتها؛ لوقوع الأَفتـراق بينهمـا باعتبـار قلّة طالـب الأَخرة، فاحتيج في ربط أحدهما إلى الأَخرة ...

أمَّا العلامة المجلسـي (طاب ثراه) فقد بيّن في ذلك وقـال: «وفي الأَخـرة» فالأَمر إن فيها مرتبطـان لا يفـارق أحدهما الأَخـر، ولذا أتى بالواو الدّالة على المقارنة في أصل الثبوت لها، وأقول: يماثل النكتة في حذف العاطف وإثباته ما قيل في الأَية الكريمة: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَـا } سـورة الزمر الأَية ٧١ ،فـي الكافرين، و {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} سورة الزمر الأَية ٧٣ ،في المتقين، إن فتح جهنم مسـبب عن كفرهم، وأما فتح أبـواب الجنّة للمتقين ففضل، لا جزاء؛ إذ التقوى نعمة [٢٤].

ومـا يسـتحصل من ذلـك، إن الله سـبحإنه وتعإلـى جعـل الذكر جـلاء القلوب تسـمع به بعـد الوقرة، وتبصر به بعد العشـوة، وتنقاد به المعانـدة، وما بـرح لله عزت الأَه فـي البرهة بعـد البرهة، وفي أزمان الفتـرات عبادٌ ناجاهم فـي فكرهم، وكّلهم فـي ذات عقولهم، وكما قال الإمـام (ع): «إن الـزرع ينبت في السـهل ولا ينبـت في الصفا، فكذلـك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر فـي قلب المتكبر الجبار؛ لأن الله جعل التواضع آلة العقل»[٢٥].

المبحث الثاني: العقل.

نرى من المناسب إن نبدأ بذكر حديث عظيم للإمام المعصوم (ع)؛ ليكون هو مدخلنا إلى عرض وبيان مفهوم «العقل» في تراثه (ع)، فقد سئل(ع) عن أسباب تنوع معجزات الأنبياء وعدم تشابهها، فقيل له: «لماذا بعث الله موسى بن عمران (ع) بالعصا ويده بيضاء وآلة السحر؟، وبعث عيسى (ع) بآلة الطب؟، وبعث محمداً (ص) بالكلام والخطب؟، فقال أبو الحسن(ع): «إن الله لما بعث موسى(ع) كان الغالب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى(ع) في وقتٍ ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث محمداً (ص) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم»، فقال له السائل: تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم؟، فقال (ع): «العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه»[٢٦].

وواضح من حديث الإمام إن دين الحقالإسلام جاء مخاطباً العقل؛ بالحكمة الربوبية المذهلة، والرسالة المحمدية الخالدة، ولذا فإن الإمام الكاظم(ع) عزز هذا الأتجاه، فقال في وصيته مخاطباً هشام بن الحكم: «ما بعث الله إنبياءه ورسله إلى عباده الاَّ ليعقلوا عن الله، فأحسنهم إستجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة، في الدنيا والأخرة»[٢٧].

وفي التوضيح نقول: يريد الإمام (ع) إن غاية البعثة النبوية العقل عن الله، وإن الاحسن معرفة، إلاحسن إستجابة للدعوة، كما إن إلاحسن عقلاً إلاحسن علماً بأمر الله وأكثره. وقد يرد هنا سؤال حول الأحسنية عقلاً الملازمة للأعلمية بأمر الله تعالى، هل هذه الملازمة من جانب واحد أو من جانبين؟ أي تلازم الأعلمية الأعقلية وبالعكس، أو الملازمة من جانب واحد؟.

وللإجابة نقول: إن الملازمة من الجانبين، يعني الأحسنية عقلاً تلازم الأعلمية أيضاً، والدليل على التلازم قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} سورة العنكبوت الأية ٤٣، وإنما قالها تعالى في قبال الفاقد للعلم والعقل معاً، ففي الأية إشارة إلى التلازم بين العالم بالامثال والذي يعقلها، والحديث الكاظمي دلّ على إن الأعلمية تلازم الاعقلية، والأية قائلة: بإن التعقل تابع للعلم على عكس الحديث ولا تنافي بينهما في نفس الأمر، لإن كلاً دالٍ على جانب بلا نفي للجانب الأخر، والجميع يعطي مجموع الجانبين على حد المثل السائر: (إثبات الشئ لا ينفي ما عداه)[٢٨].

وقوله (ع): «أحسنهم إستجابة أحسنهم معرفة يتجلى الغرض منه بعد التعقل عن الله تعالى، فلابد من إدراك العلاقة بين الأحسنية ومعرفة المستتبعة للإستجابة الأحسن، وبين التعقل عن الله عز وجل، ويبرز هنا سؤال آخر: هل العقل يقضي بإمكان التعقل عن الله تعالى؟ وليس معنى التعقل عن الشيء إلاَّ حصول العلم بكنهه، واكتناه الله محال، فما المراد من قوله (ع): «إلاَّ ليعقلوا عن الله»؟.

ونستطيع القول في هذا المورد، إنه (ع) قال: «ليعقلوا عن الله» وتعقّل الله محال دون التعقّل عن الله الحاصل بالله. لإن معرفة الله عز وجل

والعلـم به لا تكـون إلا بالله، وليسـت المعرفة إلاَّ إفاضــة من عالم النور علــى قلب العارف، ويكشـف الغطــاء عن وجــه المعرفــة كما في الحديث المأثور عن الإمام الصادق (ع): «.... فكيـف يوحده من زعم إنه عَرفَـه بغيره، وإنمَّا عَـرفَ الله مَن عَرفَـه بالله، فمن لـم يعرفُه به، فليـس يعرفــه، وإنمَّــا يعرف غيــره، ليس بين الخالق والمخلوق شــيء، والله خالق الأشياء لا من شــيء كان، والله يسمى بأسمائه، وهو غير أسمائه، والأسماء غيره». وحديثه الآخر (ع): قــال: قــال أميــر المؤمنيــن (ع): «اعرفوا الله بالله، والرسول بالرســالة، وأولي الأَمر بالأَمر بالمعروف والعدل والأَحسان»[٢٩].

وهذا الحديث له شــرح قد تعرض له بعض المحققين وللشــيخ الكليني (طاب ثراه) بعد ذكر الحديث بيان، قــال: ومعنى قوله(ع): «اعرفوا الله بالله» يعني إن الله خلق الأَشخاص والانوار والجواهــر والأَعيــان، فالأَعيــان: الأَبــدان. والجواهــر: الأَرواح. وهــو جل وعز لا يشــبه جســماً، ولا روحاً، وليس لاحدٍ في خلق الروح الحســاس الدّراك امرٌ ولا ســبب، هــو المتفرد بخلق الأَرواح والأَجسام، فاذا نُفي عنه الشبهين: شــبه الأَبدإن، وشــبه الأَرواح، فقــد عرف الله بالله، وإذا شــبّهه بالــروح، أو البدن، أو بالنور، فلم يعــرف الله بالله، وكلام الإمام (ع) مســتقى من عين المعرفة الربوبية يردها المرتاد وعنها يصدر ريّــاً رويّاً لا ضماء بعده أبداً، وليســت المعرفــة من صنع العباد كما في حديث إبن أبي عمير، عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): المعرفــة من صنع مَن؟ قال: من صنع الله «ليــس للعباد فيها صنع». نعــم تزداد بهجةً وضياءً بنــور الطاعة وعبادة الله وبلطفه تعالى وتوفيقــه وهو المراد من «أحســنهم اســتجابة، أحســنهم معرفة» ولا تكون الأَحســنية استجابة ومعرفة إلاَّ بالله وتوفيقه لا بأمر آخر[٣٠].

ويستكمل الإمام (ع) حديثه السابق مخاطباً هشــام بــن الحكم: «إن لله علــى الناس حجتين: حجــة ظاهــرة، وحجــة باطنه، فأمــا الظاهرة: فالرســل، والأَنبياء، والأَئمة (ع). وأمَّا الباطنة: فالعقول[٣١]، فمن ســلط ثلاثاً على ثلاث، فكانما أعان علــى هدم عقله.... مَن أظلــم نور تفكيره بطــول أملــه، ومحــا طرائف حكمتــه بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكانما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينــه ودنياه»[٣٢]. «ياهشــام: كيف يزكو عنــد الله عملك وأنت قد شــغلت قلبــك عن أمر ربــك، وأطعت هواك على غلبة عقلك، فالصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمَن عقل عن الله اعتــزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله وكان الله إنســه في الوحشــة، وصاحبه فــي الوحدة، وغناه فــي العيله، ومعزه من غير عشــيرته»[٣٣]. «ياهشــام: نصب الخلق لطاعة الله، ولا نجــاة إلاَّ بالطاعــة، والطاعــة بالعلم، والعلــم بالتعلــم، والتعلم بالعقــل يعتقد، ولا علم إلاَّ مــن عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل»[٣٤]. «فقليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود»[٣٥].

وقال(ع): «إن الله تبارك وتعالى بشــر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: { فبشر عبادِ الَّذِينَ يَسْــتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَــنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُــمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِــكَ هُــمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} »سورة الزمر الآية ١٧-١٨، ثم قال (ع): إن الله يقول: {نَّ

فِـي ذَٰلِـكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ } سـورة ق الآية ٣٧، يعني العقل، وقال: {ولقد آتينا لقمان الحكمة} سورة لقمان الآية ١٢، ويعني العقل والفهم [٣٦].

وللقلب والعقل علاقة إستبدالية في كلام الإمام (ع) فمـن ذلك ما رواه حماد بن عمرو النصيبي، قال: سـأل رجل الإمـام (ع) فقـال: أخبرني عن الأَيمـان، أ قول وعمـل، أم قولٌ بـلا عمل. قال: «الأَيمـان عملٌ كلّـه، والقول بعـض ذلك العمل بفـرض من الله بيّنه في كتابه، واضحٌ نوره، ثابتةٌ حجته، يشـهد به الكتاب ويدعو اليه، قلت: صف لـي ذلك حتى أفهمـه. فقال: إنَّ الأَيمـان حالاَت، ودرجـات، وطبقات، ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص المنتهى نقصانه، ومنه الزائد الراجـح زيادته، قلـت: وإنَّ الأَيمـان ليتم ويزيد وينقص؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنَّ الله تبارك فرض الأَيمان على جوارح بني آدم وقسّمه عليها وفرقّه عليهـا، فليس من جوارحهم جارحة إلا وهـي موكلـة مـن الأَيمان بغير مـا وكلت به أختها... فمنها قلبه الـذي به يعقل، ويفقه، ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلاَّ عن رأيه وأمره»[٣٧].

وفـي وصيته (ع) لهشـام قال: «ياهشـام: ما قُسـم بين العبـاد أفضل من العقـل»[٣٨] «إنَّ لكل شـيء دليلاً، ودليل العقل: التفكر، ودليل التفكر: الصمـت.. ولكل شـيء مطيّـة، ومطيّـة العقل: التواضـع، وكفى بـك جهلاً إنْ تركـب ما نهيت عنـه»[٣٩]. «إن العاقـل الـذي لا يشـغل الحلالُ شكره، ولا يغلب الحرامُ صبره»[٤٠]. وللتوضيح نقـول: كلمتان يتميز بهمـا العاقل عن غيره، وإن النـاس في الحلال والحرام رجـلان، رجلٌ يحلل حـلال الله، ويحرم حـرام الله، ولا يبدل حكماً من أحـكام الله، ولا يخبط فيهما، ولا يخلط، ولا يترك ما وجب فعله، ولا يفعل ما وجب تركه، وإذا جاء اليه أمر إن قام بمقتضاها لا يجعل أحدهما مانعاً من المضي على الأَخر، وإذا لزمه شكر نعمة لا يلهو عنـه بالتنعم بها، كما لو أتاه الحرام لا يفقد صبره عن الكف عنه. شـإنه أبداً وضع الشيء مواضعه بـلا زيـادة ولا نقصان، فمـن توافـرت فيه هذه الخصـال فهو العاقل، ورجـل جاهل من الجهال، وإن وسـم بسـمات جليلة جميلة، وعدّه الناس من العقلاء والعلمـاء، ولربما قالوا لعديم العقل عاقلاً ولعديـم العلـم عالماً، فإن القـول لا يوجب عقلاً، ولا عملاً، وإنمَّا الحساب على الواجد دون الفاقد، والأَقوال قد تصيب وقد تخطئ، والحديث مقياس صحيـح تظهر ظاهرته فـي موضعه، ومنه كلام أمير المؤمنين (ع) لتعريف العاقل والجاهل، قال السـيد الرضي (طاب ثراه): قيـل له (ع): صف لنا العاقل، فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، فقيل: فصف لنا الجاهـل، قال: قد قلت، وكذا قال المعتزلي: هذا مثل الكلام الذي تنسـبه العرب إلى الضَـبّ، قالوا: اختصمـت الضّبـع والثعلب إلى الضَبّ، فقالت الضبع: يا أبا الحسـل إني التقطت تمـرة، قال: طيّبـاً جنيت، قالـت: وإنَّ هذا أخذها مني، قال: حَظ نفسـه أحـرز، قالت: فإني لطمته، قال: كريم حمى حقيقته، قالت: فلطمني، قال: حرٌ إنتصـر، قالت: إقضِ بيننا، قال: قد فعلت، والمثل من وجه مقرب، ومن وجوه مبعد... والغرض إن الجاهل هو من بخلافه لا يضع الشـيء مواضعه، وقد ظهـر لنا بالمقايسـه، فلا يفتقـر إلى تعريف الجاهل، وللسيد الرضي بيان أوسع فراجع [٤١].

وأخيـراً، فقد لخص الإمام (ع) حكمته البالغة عن العقـل عندما قال(ع): «قيل للقمان: ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسـأل عما كفيته، ولا أتكلف مالاً يعنيني»[٤٢] وقد صاغ الإمام (ع) هذه الفكرة البديعة بتوضيح أكثر وأدق وأشمل، حين قال(ع) في وصيته لهشام بن الحكم: «يا هشام: ما عُبد الله بشيءٍ أفضل من العقل»[٤٣]، ثم استكمل ذلك (ع)

فقال: «ياهشام: مَن اراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فيتضرع إلى الله عز وجل في مسألته، بإنْ يكمل عقله، فمَن عقل قنع بما يكفيه، ومَن قنع بما يكفيه أستغنى، ومَن لم يقنع بما يكفيه، لم يدرك الغنى أبداً[٤٤]. «ياهشام: من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له: عقلٌ يكفيه مؤونة هواه، وعلمٌ يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر»[٤٥].

أهم المتحصلات لمصطلحي «الحكمة» و»العقل» في تراث الإمام الكاظم (ع)

١. عُني الإمام الكاظم (ع) ببيان دور «العقل» و»الحكمة» والعلاقة الوثيقة بينهما، في مسيرة الأَنَّسنن والحياة وأهمية العلم في بناء الأَفراد والمجتمعات ونموها المتحرك المثمر، إضافة لما نلمس أيضاً من الأَهتمام الكبير والوجود البارز للموضوعات الفلسفية والكلامية في هذا التراث، كشؤون الخلق والخالق، ومسائل التوحيد والصفات، وقضايا العدل الأَلهي، وشبهات الجبر والقدر والتفويض، وغير ذلك ممَّا ماثل وشاكل من فروع تلك الموضوعات ومداخلاتها الكثيرة المتشعبة.

٢. تمثل وصية الإمام الكاظم (ع) لهشام بن الحكم المسماة بـ»الوصية الذهبية» واحدة من أروع ما أُثر عن الإمام (على إن تراث الإمام كله رائع)، لما إشتملت عليه من إضافات فكرية ودلالات فلسفية تركزت في مجملها العام حول مواضيع عدة جاء في أولها «الحكمة» و»العقل» والربط بينهما وارتباطهما بموضوعات عدة أُخر، فحفلت بالعبر والأَرشادات، والحث والترغيب في إكتساب العلم والحكمة، وتغليب العقل على الجهل، والأَيمان والزهد، فكانت بمجملها صورة متكاملة الأَبعاد والمرامي لأعمق ما قيل في موضوعاتها، ولذا كانت هذه الوصية الشريفة محور بحثنا ومنطلقنا في المقاربة التحليلية لتراث الإمام الزاخر.

٣. يبرز من مجمل ما أُثر عن الإمام (ع) إنه لايريد بـ»الحكمة»، الحكمة المصطلحة بالفلسفة من المعرفة بحقائق الأَشياء التي وضِع صرحها على القواعد العقلية الصرفة ولا العلم بالقواعد الكلامية، ولا غيرهما ممَّا لا تُعرف إلاَّ بالعقليات غير المؤيدة بالوصي السماوي، بل المراد بالحكمة المذكورة في الروايات الكثيرة هي الحكمة القرانية التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً وهي المعرفة بالله، وبالأنبياء وأوصيائهم(ع).

٤. يُستشف من مأثور الإمام (ع) التفريق بين مفهوم الحكمة (ممثلاً لمفهوم الفلسفة) وبين مفهوم الحكمة القراني المرادف للعلم والعقل والفهم والأَصابة بالقول، فالفلسفة تبحث في كنه الحقيقة المطلقة، وتسعى للاجابة عن الكثير من التساؤلات، وتوضيح العلل والبحث في خاتمة المطاف. في حين إن الحقيقة المطلقة في الحكمة القرانية هي الله تعالى وحده، وهي حقيقة ينبغي تنزيهها عن كل نقاش، أما حقائق الخلق ومصير الأَنَّسان وباقي التساؤلات؛ فقد تصدى الإمام (ع) بتلخيصها حين قال: «فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الأَرادة، وبأرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الأَمضاء ... فبالعلم علم الأَشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها، وحدودها، وإنشأها قبل اظهارها، وبالارادة ميز إنفسها في ألوانها، وصفاتها، وبالتقدير قدّر أقواتها، وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها، ودلهم عليها، وبالامضاء شرح عللها، وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم»[٤٦]. والحديث طويل فراجع.

٥. ولذا فـ«الحكمة» في نظر الإمام (ع) تشـتمل علـى: الحكمة التكوينية الهادفـة إلى محاولة حل المشـاكل التـي يطرحهـا زمـإن وواقـع معين، والحكمة التكليفيـة المتمثلة بالقواعد الموضوعية التـي جاء بها الوحي (وهي ما يقابل الدين) والتي تحـدد الحكمـة التكوينيـة، والعلاقـة بينهما (كما يُسـتنبط) علاقة تحديـد وتكامـل أي علاقة الكل بالجـزء، فالديـن يحدد الفلسـفة كما يحـدد الكل الجزء فتكملها وتغنيها ولا تلغيها.

٦. إرتبطـت «الحكمـة» – فيمـا ارتبطت - في عموم تراث الإمام (ع) بالأَيمإن الراسخ في قلوب المؤمنيـن «المطويـة والمبهمة عليـه»، التي إن أراد الله تعإلى «إسـتنارة ما فيها نضحها بالحكمة وزرعهـا بالعلـم»، والزرع هنا كمـا واضح من حديث الإمام المعصوم منسوب إلى ذاته المقدسة؛ لكونه فعلاً له، فهو واهب الحكمة ينبتها في قلوب المؤمنين نباتاً حسـناً قائماً على العقائد الصحيحة والحقائق الربوبية والأسرار الحكمية، وهو القائم بأمرهـا والمدبر فيهـا والمراقب لجميـع أفعالها والقيّم عليها.

٧. ويـرد (أيضاً) في طليعة ما حمله المأثور عن الإمـام (ع) تأكيده المشـدد وعنايته الفائقة بتكريم «العقل» وتقديسه، لكونه «الحجة على الخلق «بل حجة الحجج وأصل الأَصول في التكليف الدنيوي والحساب الأَخروي ولا يكتمل الأَيمإن ولا تنضج البصيرة والحكمة ولا يضمن الفهم السليم والعمل القويم الاَّ بتحكيم العقل فـ«الله تبارك وتعإلى أكمل للنـاس الحجج بالعقـول، وأفضى إليهـم بالبيإن، ودلّهم على ربوبيته بالأَدلاء»[٤٧].

٨. شـغل «العلم» حيـزاً من تـراث الإمام (ع) وركز على أهميته وشإنه الكبير وأثره العظيم في بنـاء وتعزيز الأَيمإن وترسـيخ الأَعتقاد، وربطه (ع) بالعقـل والحكمـة، وحـث علـى اكتسـابه، وأفضليته على الدنيـا وما فيها، فقليل من الحكمة والعلم لا تساويهما الدنيا بأسرها.

٩. حفـل تراث الإمـام (ع) بالتأكيد في كثير من الأَحاديـث علـى أهميـة الزهد في الدنيـا، فجعله (ع) تارة مـع الأَيمان وأخرى مع التعقل، فالزهد فـي الدنيـا لا يتأتى إلاَّ عن تعقـل وبصيرة، وكذا الرغبة في الأَخرة لا تكون إلاَّ عن تعقل وبصيرة، وكلاهمـا (الدنيا والأَخرة) طالبة مطلوبة، فالزهد في الدنيـا يجعل الأَخـرة هي المطلوبـة، يطلبها الطالب؛ للسعادات الأَخروية بالأَعمال الصالحة.

الخاتمة

فهذا هو موسى بن جعفر(ع) سابع المنتجبين في شـاهق مقامه وسماء مجده، ملجأ طالبي العلم والحكمة على اختلاف توجهاتهم المذهبية وتنوع مشـاربهم الفكرية، بما ورث من أسلافه الميامين مـن علم مرتبط الوشـائج بوحي الله تعإلى وكتابه المنزل ومعرفة متصلة الحلقات برسول الله (ص) وسنته الشريفة المباركة [٤٨].

والمسـتفاد من نصوص المؤرخيـن وأخبار المحدثيـن إن هـذه المزايـا والخصائـص التـي احتشدت في شخصية الإمام الكاظم (ع) وتركيبة ذاته القدسية قد اشتهرت بين الناس وإنّتشر خبرها فـي مختلـف الأَصقـاع والبلـدان، فهيمنت على مشاعر الجميع، واسـتقرت في أعماقهم، وسمت في قلوبهم وعقولهم.

وما تعرضنا له من تراث الإمامة، هو غيض من فيضه الزاخر وعبابه المتدفق، الذي حاولنا في هـذه العجالة بحثه والوقوف عليه، ذلك الموروث القيّم الذي تلقينـاه عن الإمام وما زلنا نعيش حتى اليـوم أفياء خيره ونعيمه، وظلال عطائه ونمائه، فيما نجده ماثلاً فـي المصادر الأَولى التي حملت ذلـك الأَرث الخالد وفيما تناقلتـه الأَجيال المعنية جيلاً بعد جيل [٤٩].

وخير ما نختتم به بحثنا حديث الإمام (ع) على ما رواه عبد الله بن يحيى، حين قال: كتبت إلى الإمام الكاظم (ع) في دعاء «الحمد لله منتهى علمه»، فكتب (ع): «لا تقولن منتهى علمه، فإنه ليس لعلمه منتهى، ولكن قل: منتهى رضاه»[٥٠]، فالحمد لله حمداً كثيراً دائماً أبداً منتهى رضاه، وأفضل الصلاة والسلام على خاتم النبيين وأوصيائه الأَئمة المطهرين، حجج الله على العباد وأمنائه في البلاد، وحبله الموصول بين الأَرض والسماء، صلاة كثيرة دائمة إلى يوم الدين، وسلام على الإمام المعصوم الكاظم (ع) يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً، وكتب الله لنا ولمحبيه شفاعته{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} سورة الشعراءالأَية ٨٨- ٨٩.

الهوامش

١- سير أعلام النبلاء: ٢٧٠/٦ والعبر: ٢٢٢/١ ومنهاج السنة: ٢٤/٢ و١٢٤ وتهذيب التهذيب: ٣٤٠/١٠ وشذرات الذهب: ٣٠٤/١ ، نقلاً عن الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد(ع): ٧٣.

٢- الأَئمة الأَثنا عشر (ع): ٧٦.

٣- الأَصول من الكافي: ٢٦٤.

٤- الأئمة الأَثنا عشر: ٧٦.

٥- الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد (ع): ٧٦-٧٧.

٦- هو أبو الحكم هشام بن الحكم البغدادي الكندي مولى بني شيبان ممن إتفق الأَصحاب على وثاقته وعظم قدره ورفعة منزلته عند الأَئمة (ع)، وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الأَصول وغيرها، صحب أبا عبد الله الصادق وبعده الكاظم والرضا، وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالكوفة. نقلاً عن: سلوا الكاظم (ع) عن جسر بغداد: ١٨١.

٧- سلوا الكاظم (ع) عن جسر بغداد: ١٨١.

٨- تحف العقول: ٣٩٢.

٩- من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ٤٤٧.

١٠- الأَصول من الكافي: ٤٢١/٢.

١١- المولى محمد صالح المازندراني، المتوفى سنة ١٠٨٠هـ.

١٢- الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت ١١١٠هـ).

١٣- من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ١٦٩-١٧٠.

١٤- الكافي من الأَصول: ١٧/١.

١٤- من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ٣٣٦.

١٦- الكافي من الأَصول: ١٧/١-١٨.

١٧- المصدر نفسه ١٧/١-١٨.

١٨-المصدر نفسه ١٧/١-١٨.

١٩- من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ٣٣٧.

٢٠- المصدر السابق ذاته: ١٩٧.

٢١- الملا محمد محسن المشهور بالفيض الكاشاني، المتوفى سنة ١٠٩١هـ.

٢٢- المصدر السابق ذاته: ١٩٧-١٩٨.

٢٣- السيد شبر بن محمد بن ثنوان الحويزي النجفي، (ت ١١٩٠هـ) على الأَرجح.

٢٤- المصدر السابق ذاته: ١٩٨-١٩٩.

٢٥- المصدر السابق ذاته: ١٦٨. نقلاً عن: البحار ١/٣١٢/٧٨.

٢٦- الكافي من الأَصول: ٢٤/١-٢٥.

٢٧- تحف العقول: ٣٨٦. والبحار ٣٠٠/٧٨.

٢٨- من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ٣٣٤-٣٣٥.

٢٩- الكافي من الأَصول: ١٦/١.

٣٠- المصدرنفسه: ٤٢٩.

٣١- المصدرنفسه: ١٨/١.

٣٢- تحف العقول: ٣٠٧.

٣٣- الكافي من الأَصول: ١٧/١.

٣٤- تحف العقول: ٣٠٧.

٣٥- الكافي من الأَصول: ١٧/١.

٣٦- المصدرنفسه: ٣٠٦.

٣٧- المصدرنفسه: ٣٨/٢.

٣٨- تحف العقول: ٣١٥. كلمة قالها الإمام (ع) قبل إن يدعيها ويزعم بها (ديكارت) بأكثر من ألف سنة، حين إعتبر «الذات» جوهراً مفكراً في الكوجيتو كنقطة إنطلاق للميتافيزيقا الباحثة عن الحقيقة، والأَستدلال عنده هو وظيفة العقل المحضة التي يهتدي بها إلى علة كل الأَشياء، والعقل «أحسن الأَشياء توزعاً بين الناس بالتساوي»، إنظر: المقال في المنهج: ١٣.

٣٩- الكافي من الأَصول: ١٦/١.

٤٠- المصدرنفسه ١٦/١.

٤١ من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ٣٤٣.

٤٢- البحار، ١٢/ ١٠/٤١٧، نقلاً عن: من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع): ١٦٨.

٤٣- الكافي من الأَصول: ١٨/١.

٤٤- تحف العقول: ٣٠٨.

٤٥- المصدرنفسه: ٣١٧.

٤٦- الكافي من الأَصول: ١٤٨/١.

٤٧- تحف العقول: ٣٠٥.

٤٨- الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد (ع): ١١٧- ١١٨.

٤٩- الأَئمة الأَثنا عشر: ٨٨.

٥٠- تحف العقول: ٣٢٣.

المصادر

القران الكريم

١. الأَصول من الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ونهض بمشروعه الشيخ محمد الأَخوندي، الجزء الأَول والثاني، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ١٣٨٨هـ.

٢. الإمام الصادق: حياته، عصره، آراؤه، فقهه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

٣. الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد(ع): سيرة وتأريخ، الشيخ محمد حسن آل ياسين، من اصدارات قسم الثقافة والاعلام في العتبة الكاظمية المقدسة، الكاظمية المقدسة، العراق، ٢٠٠٩م.

٤. الأَئمة الأَثنا عشر(ع): سيرة وتاريخ، الشيخ محمد حسن آل ياسين، الجزء الثاني، منشورات الاجتهاد، قم المقدسة، ٢٠٠٧م.

٥. تحف العقول عن آل الرسول (ص)، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، الطبعة الأَولى، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٦. سلوا الكاظم (ع) عن جسر بغداد، هشام آل قطيط، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ١٤٣١ه/ ٢٠١٠م

٧. المقال في المنهج، رينيه ديكارت، ترجمة محمود الخضيري، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.

٨. من أروع ما قاله الإمام موسى الكاظم (ع)، محسن عقيل، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

An analytical approach to the legacy of Imam Musa Al-Kadhim (Peace on him): The terms «Wisdom» and «Reason» in «the golden Commandment of the Imam» as a model

Dr. Mohamed M. H. Aalyasin

The thinkers, historians of the Islamic Nation, and other researchers agreed on the history of Imam al-Kadhim (Peace on him), even their different doctrinal orientations, jurisprudential views, and political schools, that the Imam (Peace on him) was at the forefront of the jurists of his time, and of the scholars of his time.

The agreement on the combination of these characteristics and qualities in one person rather than any other man of his time, makes his legacy a lofty symbol of the Islamic Nation, and a clear sign of the immortal giving, which every Muslim must know about. Meditating on it, in order to derive from it the knowledge, the right approach, and the original thought, by virtue of its being based on the Book of God, and the approach match from the Prophet‹s Sunnah, the wisdom and thought preserved by the Ahl al-Bayt (Peace on them).

Based on above, the researcher seeks to present an analytical approach to some of the legacy of Imam al-Kadhim (Peace on him), by focusing on some paragraphs of that shining legacy, and glimpses of that brilliant aphorism, by choosing the terms "Wisdom" and "Reason" that are mentioned in the Imam‹s Commandment to Hisham bin Al-Hakam, called by some researchers the "Golden Commandment" as a model of his rich legacy, and those aspects, goals and purposes which the Imam wanted to communicate to his listeners and narrators of his hadith and to the generations of Muslims after him throughout the ages and times.